

ملخص رسالة ماجستير : « أسلوب الحياة لدى المبدعين »

(*)
إعداد : محمد محمود عبد العظيم

منشئه ماكس فيبر ، وانتقاله إلى علم النفس على يد ألفرد أدلر ، وانتشاره بعد ذلك فى مجالات وأفرع متعددة فى علم النفس كعلم نفس الشخصية والسلوكية وعلم النفس الطبى . . وغيره من المجالات الأخرى . وتطرق الباحث بعد ذلك إلى علاقة أسلوب الحياة بالإبداع لدى عدد من الباحثين كأدلر ، وماسلو ، وسويف . وفى نهاية الفصل عرض الباحث لأهداف الدراسة وأهميتها وما يمكن أن تقدمه داخل منظومة دراسات الإبداع .

حيث تتجلى أهمية الدراسة من خلال مجموعة من الأهداف أهمها :

١- الكشف عن المظاهر المميزة لأسلوب الحياة لدى المبدعين ، تلك المظاهر التى تأخذ أشكالاً سلوكية قد تكون متباينة ، إلا أن هناك وحدة أو

تهتم الدراسة الراهنة بالكشف عن أسلوب الحياة لدى المبدعين ، كما تحاول أن تحدد عدداً من الملامح الخاصة بأسلوب الحياة لديهم ، وكذلك محاولة فهم طبيعة العلاقة ما بين أسلوب حياتهم وبين الإبداع ، وإلى أى درجة يساهم أسلوب الحياة فى تيسير أو إعاقة الإبداع لديهم . إن محاولة فهم علاقة أسلوب الحياة بالإبداع يتطلب بداية إطلالة سريعة على خريطة دراسات الإبداع حيث بدأنا الفصل الأول: بعرض لموضوع الدراسات الذى يتناول تحديد ملامح أسلوب الحياة لدى المبدعين ، ثم قام الباحث بعرض سريع للفتات الكبرى التى على أساسها يتم تصنيف دراسات الإبداع . تلا ذلك تقديم نظرة عامة لبدايات ونشأة أسلوب الحياة فى علم الاجتماع لدى

(*) رسالة حصل بها الباحث على درجة الماجستير من قسم علم النفس بكلية الآداب - جامعة القاهرة عام ٢٠٠٦ تحت إشراف أ.د. محيى الدين أحمد حسين .

رابطا فيما بينها يجعلها مغايرة ومفارقة لأسلوب الحياة لدى غير المبدعين . ومن خلال الكشف عن هذه المظاهر أو الملامح المحددة لأسلوب حياة المبدعين سوف نتاح لنا إمكانية فهم وتفسير تلك السلوكيات الخاصة بهم ، والتي ما زالت في حاجة إلى مزيد من الفهم والتفسير ، فمعظم الدراسات المعنية بهذه المنطقة في الإبداع لم تركز إلى نموذج أو بناء كلي في عملية التفسير يمكن أن يستوعب التباينات الظاهرية لتلك السلوكيات ، بحيث لم يتم تضمينها - تلك السلوكيات - في بناء رابط لسياق ظاهرة الإبداع ككل ، ويرى الباحث أن أسلوب الحياة يمكن أن يتم طرحه بوصفه نموذجا مفسرا لتلك السلوكيات

٢- تبرز أهمية الدراسة كذلك في محاولة فهم أكبر لعلاقة المبدع بمجتمعه من خلال أسلوب حياته ، فعلاقته بالمجتمع تكون أكثر وضوحاً عندما نهتم بدراسة أسلوب حياته ، فهو في تفاعل دينامي يؤثر ويتأثر بمجتمعه من خلال ثنائية « الالتقاء والتباعد » . إن دراسة أسلوب الحياة

تكشف لنا مناطق التماس بين المبدع ومجتمعه واشتباكه بقضايا المجتمع الذي يعيش فيه .

٣- هناك أهمية أخرى لدراسة أسلوبيين الحياة لدى المبدعين ، تلك الأهمية مرتبطة بطبيعة المفهوم نفسه « أسلوب الحياة » فهذا المفهوم وما أثاره من إشكاليات قديماً وحديثاً في حاجة إلى إعادة قراءة ، وإلى التأصيل النظري له بغية إزالة الالتباسات التي ارتبطت به منذ نقله من الألمانية للإنجليزية . وكذلك محاولة فك الاشتباك بينه وبين مفاهيم أخرى مقاربة له .

٤- تبرز أهمية الدراسة نتيجة جذب التراث فيما يتعلق بهذا النوع من الدراسات ، فمن خلال مسح التراث النظري سواء في مجال دراسات أسلوب الحياة أو في مجال دراسات الإبداع فإن الباحث لم يجد أي دراسة تتعلق بأسلوب الحياة لدى المبدعين في أي من مجالات الإبداع المتعددة .

أما الفصل الثاني فيعرض لتاريخية تناول مفهوم أسلوب الحياة ، ويتتبع تطوره داخل مناحى ومدارس علم النفس ، لكنه في البداية يناقش عملية

التي تحركه للبحث عن خيارات ،
والتي تستند كذلك على جوانب
وشروط موضوعية مرتبطة بدافعية
الأفراد واتجاهاتهم نحو الآخرين
وتصوراتهم عن الآخرين وعن
أنفسهم . هذا الإقصاء أدى إلى إلغاء
المساحة الأكثر ثراءً في المفهوم ؛
خاصة عندما يتم تناوله على أرضية
سيكولوجية .

ويعد « ألفرد أدلر » Alfred Adler هو أول من قام باستخدام المفهوم
بعد نقله إلى علم النفس ، وأصبح هذا
المفهوم يمثل أكثر الملامح المميزة
للنظرية الدينامية لديه ، وهو الذي
أعطى شرعية استخدامه إمبيريقياً بعد
ذلك في الدراسات التي تناولته تناولاً
إجرائياً ، ومن جهة نظر « أدلر » فإن
أسلوب الحياة « هو الوسيلة المتفردة
للشخص في التكيف مع الحياة ، كما
يتضمن كيفية خلق الشخص لأهدافه
والوسائل التي يسعى لتحقيقها ،
بالإضافة إلى أن هذا المفهوم لديه
يشتمل على نموذج متفرد للسمات
والسلوكيات والعادات التي إذا ما
اجتمعت معاً فإنها تحدد نمطاً متميزاً في
الشخصية » .

وانتقل المفهوم من أصحاب النظرية

بزوغه في العلوم الاجتماعية ، فإذا ما
تم الرجوع إلى أدبيات علم الاجتماع
نجد أن هذا المفهوم كان حاضراً لديهم
منذ وقت طويل ، فقد كانت البدايات
الأولى في بعض كتابات كارل ماركس
Carl Marx التي حاول من خلالها
التأكيد على أن الدخل والوضع المهني
والطبقي يرتبطان بشكل جزئي بأسلوب
الحياة ، ولكنه في الغالب ينعكس بشكل
واضح في المكانة الاجتماعية حيث كان
تركيز ماركس ينصب على تنوع وتباين
أساليب الحياة بين الطبقات الاجتماعية
وأشارت كتابات ماركس عن رأس
المال ١٨٦٧ إلى هذه الرؤية .

إلا أن عالم الاجتماع ماكس فيبر
Max Weber هو أول من أشار
للمفهوم وأصل له ، ويفرد الفصل
مساحة لعرض رؤية فيبر للمفهوم ،
والكيفية التي انتقل بها من علم
الاجتماع إلى علم النفس ، ومن
الألمانية للإنجليزية ، وما شاب هذا
النقل من أخطاء أدت إلى ابتساره
والتعامل معه بوصفه مسكناً للحياة
وليس أسلوباً للحياة . هذا الخطأ أدى
إلى التغاضي عن بُعد مهم في أسلوب
الحياة وهو فرص الحياة التي هي
بمثابة المنظومة القيمية الخاصة بالفرد

الحياة على نحو أكثر شمولاً بما يسمح بالتفاعل بين المحددات الشخصية والمحددات الاجتماعية » ؛ إلا أن هذه المحاولات لم تأخذ شكل التوجه أو المنحى ذى المعالم الواضحة ، ولا نجد فى هذا الصدد سوى النموذج الذى قدمه كل من «واردل ، ورويس» والذى من خلاله تم تحديد موضع أسلوب الحياة داخل منظومة الشخصية هذا النموذج الذى يبين أهمية أسلوب الحياة بوصفه إحدى المنظومات الكبرى فى الشخصية .

وقد ناقش الفصل الثالث فى بدايته عددا من التعريفات الخاصة بمفهوم الإبداع وفق فئات تصنيفية كبرى اهتم بها الباحثون فى مجال دراسات الإبداع ، ثم قام الباحث بعرض مفصل للدراسات التى تناولت أو أشارت بشكل ضمنى لعلاقة أسلوب الحياة بالإبداع ، وقام الباحث بتصنيفها إلى أربع فئات كبرى ، الفئة الأولى اهتمت بدراسات الشخصية لدى المبدعين ، أما الفئة الثانية فهى الدراسات التى تناولت الدوافع الخاصة بالمبدعين ، أما الفئة الثالثة من الدراسات فقد اهتمت بعلاقة قيم المبدعين الخاصة

الدينامية فى الشخصية وعلى رأسهم «أدلر» إلى إطار أكثر اتساعاً وشمولاً فى مجالات عديدة فى علم النفس حيث استطاع أصحاب منحنى علم نفس الشخصية أن يوظفوه فى مجال دراسات الشخصية بوصفه « مجموعة من الأنماط الثابتة لأنساق الشخصيةوالتي يمكن التعبير عنها بصور مختلفة ، وفى مجالات مختلفة ، وفى مقابل تلك النظرة المنطوية على تعميم مفرط من قبل أصحاب منحنى علم نفس الشخصية لأسلوب الحياة ، نجد أن أصحاب التوجيه السلوكى ينحو نحو الاهتمام ببعض الأبعاد الجزئية للمفهوم ، والتى يمكن التعامل معها إجرائياً بوصفها سلوكيات نوعية يقوم بها الفرد بغية الوصول لهدف محدد ؛ حيث « يدرك أسلوب الحياة من خلال سلوك الفرد ، ومن خلال طريقته لحل مشكلات معينة فى الحياة » .

ورغم أن أصحاب التوجه السلوكى ومن نحا نحوهم « قد نجحوا فى تحديد بعض الأبعاد الجزئية للمفهوم ، فإنهم لم يتوصلوا إلى نمط شامل يجمع بين مختلف أبعاد المفهوم ، لذا فقد ظهرت بعض المحاولات للتعامل مع أسلوب

شكل نمط إبداعى فى الحياة له خصائصه ، بحيث اتسع مفهوم الإبداع لديهم ليعنى بصورة أو بأخرى نمطا أو أسلوبا للحياة ، ويظهر هذا جليا فى رؤية ماسلو لتحقيق الذات ، أو فى وجهة نظر روجرز ، وفروم ، وأندرسون وغيرهم للإبداع على أنه سلوك اجتماعي يظهر فى تفاعل الفرد مع عالمه .

أما الباحثون الذين اهتموا بدراسة القيم لدى المبدعين فقد حاولوا البرهنة على وجود نسق قيمي خاص بالمبدعين ، هذا النسق القيمي هو الذى يستطيع أن يحل التناقضات التى وقع فيها أصحاب المنحى الدافعى نتيجة عدم قدرة الدوافع تفسير أشكال السلوك التى قد تبدو ظاهراً متعارضة لدى المبدعين ، بالإضافة إلى تناقض بعض الدوافع التى خرجت بها دراسات الدافعية مع بعضها البعض ، وقد نظر أصحاب التوجه القيمي لأسلوب الحياة بوصفه أشكال التفاعلات والسلوكيات المرتكزة على نسق قيمي يتمثله المبدع فى حياته ويتشكل سلوكه من خلاله . بينما ركز أصحاب المنحى التفاعلي على التفاعل الاجتماعي للمبدع ، وعلاقة المبدع بعالمه ، والطبيعة

بأسلوب الحياة . أما الفئة الرابعة فهى فئة الدراسات التى اهتمت بعمليات التفاعل الاجتماعي لدى المبدعين ودلالته فى الكشف عن أسلوب الحياة لديهم .

وعلى الرغم من عدم الاهتمام بدراسة أسلوب الحياة لدى المبدعين بشكل مستقل لدى أى من أصحاب المناحى السابق الإشارة إليها ، فإن هناك إشارات ظهرت فى ثنايا تنظيراتهم ونتائج بحوثهم تحمل دلالات على وجود أهمية للوقوف على أسلوب حياة المبدعين والكيفية التى يتشكل بها ويرتقى . فأصحاب التوجه الخاص بدراسات الشخصية قد تناولوا ضمناً أسلوب الحياة إما بوصفه مفهوما ارتقائيا له علاقة وثيقة ببزوغ الإبداعية لدى الفرد منذ سنوات عمره المبكرة (كما لدى آدلر ، وغيره من أصحاب المنحى الفردي) أو بوصفه سلوكاً متفرداً يسم الفرد ويمثل انعكاساً طبيعياً للتفرد فى سماته وخصائصه (كما لدى أصحاب منحى السمات) ، أما أصحاب المنحى الدافعى أو التوجه الإنسانى فى علم النفس فقد نظروا لأسلوب الحياة بوصفه تعبيراً عن حاجات أو دوافع يسعى الفرد لتحقيقها ويتمثلها فى بنائه النفسى فتظهر فى

الوظيفية لتلك العلاقة بوصفها مشكلة للمنتج الإبداعي النهائي، وقد أشار أصحاب هذا المنحى ضمناً لأسلوب الحياة بوصفه المعبر عن علاقة المبدع بعالمه .

أما الفصل الرابع فقد اهتم بالتطرق للجوانب الإجرائية الخاصة بالدراسة ، حيث تم في البداية عرض منهج الدراسة بوصفه منهجاً استكشافياً وصفيًا ، مستخدماً أسلوبين لجمع البيانات هما دراسة الحالة الفردية ، والاستخبار .

وبالنسبة لعينة الدراسة وبمواصفاتها فيرجع اختيار الباحث لعينة الدراسة من المبدعين في الأدب والمبدعين في الفن التشكيلي إلى كون هذين المجالين من المجالات المتميزة . فهما يعتمدان على آليات وتكنيكات مختلفة للوصول إلى المنتج الإبداعي ، فالنوع الأول يعتمد على عملية بناء وتركيب وتصور تخيلي بهدف تنظيم لعناصر الخبرة في شكل سردي فني ، يتلقاه المتذوق في شكل منتج مقروء . في حين يعتمد النوع الثاني على عمليات التحليل والتركيب البصري ،

ويتضمن عناصر تختلف عن الإبداع الأدبي من قبيل إيقاع الخطوط ، وتكثيف الأشكال ، والفراغ ، والأضواء ، والظلال ، والألوان . وقد تم وضع محكات لاختيار العينة بهدف تحقيق شرط الموضوعية بأكبر درجة ممكنة ، وهذه المحكات تم الالتزام بها سواء في عينة المجال الأدبي أو في مجال الفن التشكيلي .

وبالنسبة لعينة دراسة الحالة فقد تسنى للباحث الحصول على عينة دراسة الحالة ، حيث تم اختيار عدد ١٨ حالة ، ٩ منها في المجال الأدبي ، و٩ في مجال الفن التشكيلي .

أما عينة الدراسة الفارقة فقد صنفت وفق خطة الدراسة الحالية إلى عينتين أساسيتين :

١- عينة المبدعين :

وهي عينة تم اختيارها من جمهور المبدعين في مجالي الإبداع الأدبي والفن التشكيلي ، واشتملت العينة على عدد (٤١) من المبدعين ، (٢٠) في مجال الإبداع الأدبي بنسبة ٤٧,٥ ٪ ، و (٢١) في مجال الإبداع التشكيلي بنسبة ٥٢,٥ ٪ .

٢- عينة غير المبدعين :

التمثلة فيها .

د- المقارنة بين بنود الأبعاد التي تقيسها الأداة ، والمجال الذي تقيسه لتحديد مدى تمثيل تلك الأبعاد للمجال موضع القياس .

أما بالنسبة لتقدير الكفاءة القياسية للاستخبار فقد اعتمد الباحث في تقدير صدق المقياس على استخدام أسلوبين للتحقق من الصدق هما :

أ- تقدير صدق المضمون عن طريق فحص بنود الاستخبار والتقدير الكيفي لتمثيلها للمجال المعرفي محل الاهتمام مؤيدا ذلك بحساب ارتباطات تقديرات المحكمين وأحكامهم إلى هذا التمثيل .

ب- تقدير صدق التكوين عن طريق فحص الاتساق الداخلي للمقياس ، وذلك بإجراء التحليلات الإحصائية لبنود المقياس ، لاختبار درجة تجانسها ، وصدق تمثيلها للمجال السلوكي محل الاهتمام .

أما لتقدير ثبات المقياس فقد اعتمد الباحث على ثلاث طرق أساسية هي :

أ- طريقة ثبات إعادة الاختبار وذلك بفواصل زمنية تراوح بين أسبوعين وثلاثة أسابيع . وكانت نتيجة ارتباط الأداء الأول بالثاني (٠,٩١) .

وتتضمن مجموعة من غير المبدعين ممن ليس لديهم أى تجارب فى الإنتاج الإبداعي سواء فى مجال الأدب أو المجال التشكيلي أو أى مجال إبداعى آخر ، وبلغ إجمالى هذه العينة (٧١) مشاركا .

وفى دراستنا الراهنة التى حددنا هدفها المبدئى فى محاولة الكشف عن أسلوب حياة لدى المبدعين فإن هناك أداتين ارتأى مواءمتها لهدف الدراسة وطبيعة العينة ، فالأداة الأولى اختصت بدراسة حالة للمبدعين فى المجال الأدبي والمجال التشكيلي ، بينما الأداة الثانية فهى أداة الاستخبار وذلك بهدف المقارنة بين المبدعين وغير المبدعين فيما يتعلق بمتغيرات الدراسة ، وكذلك المقارنة بين المبدعين فى المجال الأدبي والمبدعين فى الفن التشكيلي على تلك المتغيرات .

وإذا ما انتقلنا لتقدير الكفاءة القياسية للأدوات فقد لجأ الباحث لأكثر من وسيلة فى تقديره لصدق أداة دراسة الحالة وهى :

أ- تحديد الأهداف من إعداد الأداة .

ب- تحديد مختلف جوانب أسلوب الحياة موضع القياس .

ج- التحليل المنطقي لمحتوى الأداة وفقراتها لتحديد الجوانب المختلفة

مجموعة المبدعين وغير المبدعين في محاور أسلوب الحياة ، وكشفت النتائج عن وجود فروق دالة بين مجموعتي الدراسة على الدرجة الكلية لمقياس أسلوب الحياة لصالح عينة المبدعين ، كما أن النتائج النوعية لمحاور أسلوب الحياة على المقياس كشفت عن فروق دالة باستثناء الفرض الخاص بوجود فروق بين المبدعين وغير المبدعين في سياق العلاقة بالأصدقاء . كما بينت النتائج كذلك أن دلالة الفروق الخاصة بسياق العلاقة الروحية كانت في اتجاه غير المبدعين .

أما الجانب الثاني في هذا المحور والخاص بدلالة الفروق داخل عينة المبدعين (بين الروائيين والتشكيليين) فإن نتائجه لم تكشف عن وجود فروق ذات دلالة بين المجموعتين على الدرجة الكلية لمقياس أسلوب الحياة ، مما يعنى أن الفرض الخاص بدلالة الفروق بين المجموعتين لم يتحقق .

وقد خُصص الفصل السادس لمناقشة وتفسير النتائج التي تم الخروج بها ، وذلك في ظل أهداف وتساؤلات الدراسة .

ب- تقدير معامل ألفا كرونباخ . وكشف عن درجة مرتفعة من الاتساق الداخلى بلغ (٠,٩٢) .

ج- تقدير معامل ثبات القسمة النصفية للدرجة الكلية للمقياس باستخدام معادلة سبيرمان براون بلغ (٠,٨٧) . وبلغ معامل ثبات جوتمان (٠,٨٦) .

أما الفصل الخامس فقد اهتم بعرض نتائج الدراسة ، وقام الباحث بتقسيم تلك النتائج إلى محورين رئيسيين ، المحور الأول يتعلق بنتائج دراسات الحالة الكيفية ، وقد تمثلت تلك النتائج في عدد من الجوانب هى العادات السلوكية التى تميز المبدع فى علاقته بالجنس الآخر ، وفى علاقته بالأصدقاء ، وفى علاقته بأسرته ، وفى علاقته بمجتمعه العام ، والعادات التى تظهر أثناء أداء المبدع لطقوس الحياة اليومية ، والعادات التى تظهر فى علاقة المبدع بالجوانب الروحية ، وأخيراً ما كشفت عنه النتائج من منظومة من الرؤى التى يمثلها المبدع فى علاقته بذاته .

أما المحور الثانى وهو يتضمن النتائج التى تم الكشف عنها من خلال الدراسة الفارقة الكمية ، وكانت تتضمن جانبين رئيسيين الأول يتعلق بدلالة الفروق بين